خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٦ من رجب ١٤٣٦ هـ / ٢٤ من نيسان ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة، ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عز وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوص﴾ [الصف: ٤] روى الإمام أحمد، أن رسول الله ﷺ قال: ((أقيموا الصفوف، فإنما تُصفون بصفوف الملائكة، وحادوا بين المناكب وسدوا الخلل، ولينوا في أيدي إخوانكم، ولا تذروا فُرجات للشيطان، ومن وصل صفاً وصله الله تبارك وتعالى، ومن قطع صفاً قطعه الله)).

معاشر السادة: في حروب الردة ظهرت بطولات جليلة قمعت الباطل وشرفت الحق، وحروب الردة طالت شهوراً، وبذل فيها حملة القرآن أنفسهم، فكان مِن هؤلاء أبو عقيل الأنيفي، حيث أصيب في معركة اليمامة بجرح سهم قريباً من قلبه، فكاد يَفصل ذارعه الأيسر عن منكبه، ويَذكر علماء السيرة أنه جُرَّ إلى خيمةٍ كي يُداوى فيها، كانت المعركة تدور بطريقة مزعجة، معركةٌ بين كرٍّ وفرٍّ وإقبالٍ وإدبار، فأتباع الدجال مسيلمة الكذاب استبدت بهم عصبية الجاهلية، فهم يَبذلون نُفوسهم حتى لا يَنهزموا، والمسلمون يُريدون الإجهاز على هذه الخرافة والانتهاء من هذا الدجل، لكن الحرب كانت مداً وجزراً وكراً وفراً، كانت صفوف المسلمين تتصدع من هول القتال، فغضب الأنصار وضاقت نفوسهم أن تَدور الحرب على هذا النحو، فقالوا: اجعلونا طليعة لا نُريد أن يَختلط بنا أحد في الصفوف المتقدمة، وصاح صائحهم: يا للأنصار أخلصونا، فأخذوا يتجمعون حول الصيحة، وكان أبو عقيل جريحاً في الخيمة، فنظر إليه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وهو يتحرك فقال له: إلى أين؟ أنت رجلٌ جريح، تَكاد ذِراعُك أن تسقط، قال: ألا تسمعهم ينادون عليّ، فقال له: إنهم يُنادون: يا للأنصار، قال: وأنا من الأنصار، والله لو كنت لا أستطيع أن أُلبي النداء إلا حبواً لزحفت.

يُعلمنا هذا الموقف أن نظام الصف يَجعل الأمة قوية متماسكة وبه تنتصر، وتَضيع الأمةُ وتُخذل وتَدوس بعضها عندما تَتبع نظام القَطيع، وما نِظام القَطيع يَكون العدد الضَّخم في مكان فَيَجيء فزعٌ، فإذا بالقوي يثب فوق الضعيف، وإذا بالكبير يقفز فوق الصغير، وإذا بالنساء والصغار يذهبون تحت الأقدام، اختفى نظام الصف وظهر نظام القطيع، كل يَجري لكي يَحرص على حياته، كل يجري لكي يصل إلى غرضه وربما داس الرجل امرأته، وأمتنا إلى الآن إذا صعدت سيارة فبنظام القطيع لا بنظام الصف، بينما نَجد في العواصم الأُخرى أن نِظام الصَّف هو الذي يَسود المجتمع في شؤونه المدنية والعسكرية كلها، مَا الذي دَها الأمة العربية والإسلامية حتى تحولت إلى نظام القَطيع؟ ما الذي جَعلها تَفعل بنفسها هذه الأفاعيل؟.

لقد ظل العرب دهراً طويلاً والإسلام هو العقيدة الدافعة والشريعة الضابطة والشعاع الهادي والديدبان الحارس، وفضل الإسلام على العرب كفضل الماء والهواء والضياء على الزروع والثمار، لا نقول جَمعهم من شتات أو نَظَّمهم من فوضى، وإنما خلقهم من عدم وجعلهم أصحاب دولة ورسالة وحضارة، وما كانوا قبل ذلك شيئاً مذكوراً، وقد مَرَّت على العرب أيام نحس وسعد وشدة ورخاء، وما في ذلك من عجب، فإن الخَطَّ البياني لسير الأمم في التاريخ لا يَلتزم مستوىً واحداً، والمسلمون على الإجمال كانت إذا اعتلت أمورهم لم يتيهوا عن أسباب الشفاء، سرعان ما يعودون إلى دينهم يعتصمون بحبله ويستمسكون بهديه، فتنزاح عنهم العلل وتَسري في أوصالهم العافية، إلا أنَّ هذا العصر الحديث وَفد على العرب والمسلمين بِحَدَثٍ مُستغرب، بلبل فكرهم وأزاح خطوهم ومزق شملهم، فبدل أن يَلتمسوا دواءهم كما اعتادوا مِن كتاب ربهم وسنة نبيهم، جاء مَن يقول لهم: لا، هناك عقيدة أخرى نُريد أن تَحل محل الإيمان المألوف المتوارث، هناك مبدأ آخر يَجب أن تسير تحت لوائه الجماهير، وأن ترتبط به الحركات والسكنات، وأن تتحمل في سبيله المغارم والتضحيات، وأن يُتناسى ما عداه وأن يُذكر على تحرج وإخبات، ذاك مَبدأ الفكر الوهابي القائم على تمزيق الأمة، والذي يَهدف إلى إقامة حرب دينية بين الشعوب العربية، وهذا البديل الجديد لَن يَجرؤ أولَ الأمر على القول بأنه خَصم للإيمان أو عوض مطلق عنه، فإن هذا التصريح يُفسد عليه خطته، ومن هنا اكتفى بأن ينتزع لنفسه حق الحياة والتوجيه بدعوى أنه مُمثل الدين أو صديق له أو نائب عنه، حتى إذا استغلظ عوده وأعانت –انتبه أيها المسلم– وأعانت الثقافة الأوربية على ترسيخ

مفهومه وتوسيع دائرته أخذ يَكشف عن دَفينة نفسه، ويقول للإسلام: لا شأن لك بالحياة، عِش مَعزولاً عن الواقع، أو اذهب إلى القبور.

في عام ٢٠٠٦م صرح رئيس وكالة المخابرات الأمريكية CIA السابق "جيمس ويلسي" قائلاً: (سنَضع لهم إسلاماً يُناسبنا -ويَعني به الفكر الوهابي- ثم نَجعلهم يَقومون بالثورات، فيتم انقسامهم على بعض لِنعرات تعصبية، ومن بعدها قائمين للزحف، وسوف ننتصر).

وفي الحقيقة نحن المسلمين لا نعرف التَّعصب الديني، وإذا عَرفناه مرّ بِنُفوسنا خاطراً مُساوراً أو وسواساً عابراً، فما بَنينا عليه سياسةً ولا أقمنا عليه تقليداً، ولا عُرف لنا في الحياة وجهاً، إننا يا سادة، إننا نَتشوق من أعماق قلوبنا إلى عالم تَظفر فيه الشعوب السعادة والأمان، ألا لعنة الله على تجار الحروب وموقدي نارها، كم نَود أن يتوطد السلام في عالم تَستقر فيه حقوق الإنسان وكرامات الأمم، ولكن هل مستقبل الإنسانية يأخذ هذا الاتجاه؟ لا، وإننا لنشعر بهذه الآونة الحاسمة بأن مُعتنقي الفكر الوهابي يُقيمون كيانهم على أنقاضنا، ويَبنون سعادتهم على شقوتنا، إنهم كمسلك إخوة يوسف، عندما رسموا الطريق لراحتهم المنشودة فقالوا: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: ٩] وهكذا تتعاون الصهيونية والوهابية على إشعال الحروب الدينية، إننا لَسنا هُواة حروب دينية أو مدنية، ولا نُحسن الانحراف مع نزعات التعصب الأعمى، والحقيقة التي ينبغي أن تُقرر أو آن لها أن تُكشف، أن هؤلاء النَّفر الذين علا صياحهم في هذه الأيام ليسوا منا، نعم نتبرَّأ مِن الوهابية ومن أفكارهم، ليسوا منا في قليل ولا كثير، إنهم نبتٌ استعماري مَغشوش الفكر والضمير، وإننا ننظر إلى أمتنا فنجدها مع الأسف تَعلقت بقشورٍ باطلة، وأن أَكثرنا مصروف عن دينه العظيم إلى دنيا تزلزت فيها قدمه وسبق فيها خصمه، فلا غرو إذا فتح العرب والمسلمين أَعينهم على حاضر كريه ومستقبل مغلق.

إن حكام الخليج مَهدوا طريق الغزو، ويُحاولون إطفار نار المقاومة ودمار روح الإيمان، فمزقوا أواصر الوحدة، وخلقوا أجيالاً متنكرة لدينها ولغتها وتقاليدها ومُثُلها، في الوقت الذي يَبني فيه اليهود كيانهم على الدين واللغة والتقاليد والمثل العبرانية، والسؤال الذي يطرح نفسه: هل أمام العرب منفذ للنجاة؟ نعم، بل منافذ رحبة يوم يُعالجون عللهم من أصولها، ويوم يَنشجون أنفسهم وأحوالهم الداخلية على المنوال الذي نشج عليه الأسلاف العظام.

إن التحالف السعودي ضد الشعوب العربية، يُذكرنا بتحالف قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه يوم بدر، فهذا التحالف يَسوق أصحابه إلى عاقبة وَخيمة ونهاية مُخزية، لماذا؟ عندنا الدليل، عندما هزم الله سبحانه وتعالى المشركين في موقعة بدر، وأزل كبرياءهم تنزلت آيات كريمة تَكشف أسرار الانكسار الذي أصاب القوم، وتَصف اللطمات التي تناولت الهالكين مِن كل جهة، فقال جل شأنه: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠] ولكم لم هذه النهاية الفاجعة والخزي المحيط؟ يقول الله، الله يجيب: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥١] إن هذا الختام الكالح جزاء عادل لأناس كرهوا ما أنزل الله، وتَبِعوا هوى الأنفس، ومَلكهم غُرور القوة، واستحلوا حرمات الضعاف، ولم يَقفهم على حقوق الحق أدبٌ ولا خُلق، فعندما يبلغ هذا الجحود مداه، وعندما يَنعقد الإصرار عليه فلا يَنحل بندم ولا توبة، عندئذ تدق قوارع الغضب أبواب الظلمة، وتسود الوجوه بهزائم الدنيا قبل نكال الآخرة.

ونحن اليوم والعالم العربي والإسلامي ثم العالم الغربي بأسره، يَشهد عُدواناً وهابياً يُريد إفناء العرب والمسلمين، تَحت ذريعة الطائفية، تحت ذريعة التكفير، وإننا نقول لآل سعود: أبدتم الشعب اليمني، وما زال هذا الشعب العَريق –الشعب اليمني الصادق– صامداً في وجه طغيانكم وعدوانكم يا آل سعود، وها هو الشعب اليمني قال لكم –كما قال لكم قبله الشعب السوري–: لا تخشى مِن فكركم النجس، لا نَخشى من ريالكم المدنس بدمع الأبرياء، لا نخشى من أساتذتكم الأمريكيين والأوربيين والبريطانيين، فسنظل نواجهكم حتى ننتصر على فكركم التكفيري الظلامي، الآن –يا آل سعود– استنشرتم في أرض اليمن، لقد صَدق عليكم قول الشاعر: إن الطغاة في أرضنا يَسنَشر.

لم تجرؤا أن تنزلوا على ساحة الميدان، فعملتم على فصلهم بطائرات غدركم ومكركم، لم تجروا من قبل أن تقصفوا إسرائيل عندما بكت السماء والأرض على غزة الجريحة، الآن أصبحتم نُسوراً، وأنتم قد قُلتم نحن نعاج لا نستطيع أن نُحارب إسرائيل، فإننا نقول لكم: يا أيها النعاج، أنتم قتلة، أنتم كذبة، أنتم مُتخبطون في مواقفكم، ووقعتم في مُستنقع لن ولن تجدوا سبيلاً للخروج منه، إنكم تسيرون كما سار آباؤكم وأجدادكم من قبل، على قتل الأبرياء، على الاعتداء على شعوب العالم.

مائة عام مرت على مجزرة الأرمن، وإننا من دمشق نُعزي الشعب الأرمني، ونقول لهم: نحن إلى جانب أحزانكم، ونحن إلى جانب آلامكم، وإسلامنا علمنا: أن نحبكم، أن نحترمكم، أن نصون دماءكم، وأتوجه

إلى أهلنا المسيحين على الرغم من أننا كلنا مسيحيون، لأننا كلنا يُحب عيسى عليه السلام، كلنا يؤمن بعيسى عليه السلام، وكلنا يَعلم أنه لا يَصح إيمانك بمحمد عليه الصلاة والسلام إن لم تُؤمن بعيسى والأنبياء عليهم الصلوات والسلام، وإننا نَقول لأهلنا المسيحين في سورية: دماؤكم دماؤنا، وأعراضكم أعراضنا، وأموالكم أموالنا، هكذا علمنا إسلامنا، وهكذا أمرنا نبينا الأكرم مُحَمَّد ﷺ أن نُعاملكم.

والمضحك إذا أردت أن تضحك فاستمع إلى تصريح أردوغان وهو يقول: إن هذه المجزرة لا أساس لها. عَجيب، هو يكذب التاريخ، أنت تريد أن تكذب التاريخ، أنت تريد أن تكذب الأحداث والوقائع، أردوغان: العالم يَنفر منك، شعبك ينفر منك، ألا تسمعون –يا سادة– في وسائل الإعلام كيف تَخرج المظاهرات المنددة في تركيا ضد أردوغان؟ عمل على إرجاع تركيا سياسياً وفكرياً واقتصادياً وعلمياً سنين طويلة، والأتراك اليوم يَشعرون بالسياسة المتدهورة لأردوغان وخطورتها على حياتهم وعلى أمنهم، فإننا نقول لداعمي الإرهاب –أردوغان، سلمان، الملك الأردني المتدهور، ولأذنابهم، ومن يدور في فلكهم، ومن يُشترون ويُباعون– نقول لهم: إرادتان لا تقهران –هذه الكلمة قالها القائد الخالد حافظ الأسد رحمه الله– قال: قُوتان لا تُقهران: قوة الله، وقوة الشعب. فنحن هنا أقوياء بعقيدتنا، بإسلامنا، بحقوقنا، بالدفاع عن قضيتنا، أما أنت أيها الصعلوك السعودي –المندوب السعودي في مجلس الأمن– قلت: إن السعودية مُستعدة لتقديم المساعدات للشعب السوري كما فَعلت في اليمن، مُستعدة للوقوف إلى جانب الشعب السوري كما فعلت في اليمن، يا أحمق مَاذا فعلت في اليمن، ألا تَرى أم أنت أعمى أم مُتعامي؟ ألا ترى طائرات النظام السعودي ما فعلت؟ قتلتم الأبرياء، هتكتم الأعراض، ضربتم البنى التحتية في اليمن الشقيق، وقال لك عملاق سورية بَشار الجعفري، قال لك: إذا كنت رجلاً أنت وأسيادك فانزل إلى ساحة الميدان، وعندما تُمد يدك ستقطع.

ونحن كمواطنين نقول لهذا الصعلوك المندوب السعودي في مجلس الأمن، لهذا القزم لهذا الطفل الولد، نقول له: أنت تلعب مع الأسود، فالشعب العربي السوري كلهم أسود، وكلنا براكين، فإن اللحظة التي تُفكرون فيها بالإغارة علينا، ستجدون براكين تَنفجر في عيونكم القذرة، ستجدون مَدافع تخرق دماءكم النجسة، ستجدون مُواجهة ما عَرف التاريخ لها مثيلاً، نعم، ستجدون مواجهة ما عرف التاريخ لها مثيلاً.

وحتى الآن، لم يَزأر الشعب العربي السوري، حتى هذه اللحظة لم يَغضب الجيش العربي السوري، فَالويل لكم مِن غضب جيشي، ومن غضب وطني، ومن غضب أرضي، إذا انتفضت في وجوهكم القذرة.

يا أيها السوريون: لم يَعد شيء نخاف عليه، ولم يعد هناك شيء نَبكي عليه، ولم يَعد هُناك حجة لأن نتوارى عن الدفاع عن الوطن، أو نَسكت عن كلمة حَقٍّ نَستطيع أن نقولها، آل سعود القذرون يُريدون دمار الوطن العربي بإسلامه ولغته وحضارته وتقاليده ومُثُلِه، من أراد أن يكون جباناً فليرحل مِن هنا، فإن مَكانه في تل أبيب، سورية هنا بلد الأسود، بلد الرجال، بلد الشرفاء الغيورين على أرضهم وأوطانهم وأعراضهم، فلا بُد أن نتوارى عن قول كلمة حق، فليرينا هويته ما هي، ماذا ينتظر، ماذا يريد؟ إلى أي نتيجة يسعى ويرمق، أما السوريون الشرفاء فقد قالوا كلمتهم منذ بداية الحرب على هذا الوطن الحبيب، لا يوجد مؤيد ومعارض، إما سوري أو صهيوني، لا تقل لي بأنك معارض وأنت تحمل السلاح لتقتلني، لا تقل لي بأنك معارض وأنت تنتهك الأعراض، لا تقل لي أنك معارض وتتساعد مع الشيشاني والسعودي الدنيء والأردني والليبي وغيرهم على قتل أماننا واستقرارنا، فنحن أدركنا منذ البداية لا يوجد مؤيد ومعارض، إما سوري أو صهيوني، فكل مَن يُحب الوطن ويَسعى له بالخير والصلاح فهو سوري، وكل من يَمكر بالوطن ويسعى لدماره وخرابه فهو صهيوني، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانيـ ٢ ـة:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه، وبشر المؤمنين.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم ارحمنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليك، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك سميع الدعاء، اللهم إنا نسألك أن تُعيد الأمن والأمان إلى ربوع وطننا الحبيب، اللهم إنا نسألك أن تَنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تَكون لهم معيناً وناصراً، وأن تُسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، وأن تثبت الأرض تحت أقدامهم، اللهم وفق السيد الرئيس القائد المقاوم الشريف العفيف الطهور بشار الأسد لما فيه خير البلاد والعباد، وخُذ بيده إلى ما تُحبه وتَرضاه، وانصره على كل حاقد

وماكر يا رب العالمين، واجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.